

كوميديا المثلث الفيروزي من جديد !

الظاهرة الجديدة التي بدأت تطفو فوق سطح حياتنا المسرحية بعامة ، ومسرحنا الكوميدي بنوع خاص . هي العودة إلى (دراما الأسرة) ، تناولاً لمشكلاتها القائمة ، وتنبؤاً بمساراتها المقبلة ، وتحلياً عن موجة الكوميديا الغنائية الاستعراضية ، التي أغرقت مسرحنا حتى غرق فيها المسرح ، وغرق معه الإحساس بأن يكون المسرح هدفاً في ذاته بالنسبة للجمهور ، وهدفاً في رسالته مع واقع المجتمع ، وتيار الحياة .

وما أكثر المشكلات التي تعانيها الأسرة المصرية وبخاصة في هذه الفترة الخلاقة من تطور المجتمع ، وهي الفترة التي يمكن تلخيصها بفترة الانتقال الاجتماعي من مرحلة البحث عن الذات إلى مرحلة تحقيق الذات ، فما أجدر مجتمعنا المصرى بعد رحلته الطويلة عبر ربيع قرن من الزمان ، قضاها منذ أن قامت الثورة إلى أن كانت حرب أكتوبر المجيد ، بحثاً عن ذاته ، وعن جهاته الأصلية ، وعن قدراته الدفينة . ما أجدره بعد هذه الحرب العنصرية ، التي هي تاريخ فارق بين مرحلتين ، أن ينتقل من بحثه عن ذاته إلى تحقيق هذه الذات .

وإذا كانت الأسرة هي نواة المجتمع ، كما يقول علماء الاجتماع ، وكان مجتمعنا

قد عاد إلى ينبوعه الأصيل ، المتمثل في أخلاق القرية ، فما أجدر الأسرة المصرية بدورها أن تتخلق بهذه الأخلاق ، تكاملاً مع أخلاقيات المجتمع ، وتكيلاً لمسيرة الحياة .

والفن باعتباره مرآة عاكسة لصورة المجتمع ، وفي ذات الوقت نظيرة مشعة لمستقبل هذا المجتمع ، ينبغي أن يتعاطى هذه المرحلة لا بالتصوير فحسب ، ولكن أيضاً بالتصور ، تصوير ما هو كائن ، وتصور ما ينبغي أن يكون .

وانطلاقاً من فوق هذا المهاد الاجتماعي ، وذلك الفرائض الأسرى ، نجى هذه الكوميديا الأسرية الاجتماعية (أنا وهى ومراقى) ، التى يقدمها (المسرح الكوميدى) ، وهى كوميدىا خفيفة تدور حول مشكلة من أبرز المشكلات التى باتت تترق مضجع الأسرة المصرية ، وهى مشكلة الانفجار الأطفالى ، باعتبارها جزءاً من مشكلة الانفجار السكانى ، المشكلة الأولى تهدد أمن الأسرة والمشكلة الأخرى تهدد سلام المجتمع . وإذا كانت حملات التوعية ، والترشيد ، التى تدعو إلى تحديد النسل وتنظيم الأسرة ، تعمل جاهدة ومجاهدة على تقديم الحلول ، فقد جاءت هذه المسرحية ، تحاول لا أقول أن تقدم حلاً ، ولكن أن تجسد المشكلة ، وتصور مدى خطورتها ، ومدى ما يمكن أن تودى إليه من نتائج .

فهنا زوجان بسيطان ، يعيشان حياة زوجية بسيطة ، ولكنها سعيدة ، « حسن » المدرس الإعدادى القانع براتبه الشهرى ، السعيد مع زوجته « نبيلة » ، القانعة بدورها بحياة البيت ، ولا شىء ينغص عليها هذه الحياة البسيطة والسعيدة معاً ، سوى الأطفال فهما لم ينجبا أطفالاً وقد مضى على زواجها خمس سنوات . غير أن هذه المشكلة لا تنغص عليها حياتها إلا إذا زارتها الست « سرارى » .. أم حسن ، التى لا تدعو إلى تحديد النسل ولا إلى تنظيم الأسرة ، فهى لا تكف عن

أخذ « نبيلة » إلى المشايخ والزارات ، وإلى أدعياء الكرامات وخوارق العادات ، كل هذا بقصد أن تنجب زوجة ابنها طفلاً ، يحمل اسم أبيه واسم العائلة . وتبوء كل محاولات « الست سرارى أم حسن » ، بالفشل ، والفشل الذريع ، فلا نجد أمامها سوى « حسنية » الشابة الجميلة القاتنة ، التى مات عنها زوجها فى صباح عرسها ، بعد أن دهنته سيارة ، وهو فى طريقه إلى شراء جيلاقى لعروسه الجميلة ، إنها تقترح على ابنها حلاً لمشكلة العقم التى باتت مؤكدة بالنسبة لزوجته « نبيلة » ، أن يتزوج من « حسنية » ، ولا حرج فى ذلك ، فإذا كان الشرع قد أجاز للزوج أن يتزوج بأربعة ، فهو لا يتزوج بأكثر من اثنتين .

ويتردد « حسن » كثيراً أمام اقتراح أمه ، فهو ولو أنه إنسان أهطل ، لم يصل بعد إلى درجة البلاهة ، إلا أنه لا يجد مبرراً كافياً لأن يتزوج فوق زوجته ، فلو أنه تجاوز عن المشكلة الاجتماعية التى سنشأ حتماً بين الزوجتين ، فلن يتجاوز عن المشكلة الاقتصادية التى ستواجهه فى الإنفاق على البيتين . ولكنه تحت إلحاح أمه من ناحية ، وعقم زوجته من ناحية أخرى ، وقتنه « حسنية » وإثارته له من ناحية أخيرة لا يملك إلا أن يرضخ ، وفى الوقت الذى يتم فيه زواجه من حسنية يعلم من زوجته « نبيلة » أنها حامل ، وفى الوقت الذى يفكر فيه فى الخلاص من « حسنية » بالطلاق ، يعلم منها أنها هى الأخرى حامل ، وهكذا لا يملك إلا أن يرضخ للأمر الواقع ، ولو وقع فوق أم رأسه ! .

وتلد زوجته الأولى بنتاً ، وتلد الزوجة الثانية ولداً ، وتحت وطأة الإنفاق ، يحاول الأستاذ حسن أن يرشد الإنفاق ، فيجمع بين الزوجتين فى شقة واحدة ، ويبدأ فى إعطاء الدروس الخصوصية للتلاميذ ، كدخول إضافى يساعده مع مرتبه الشهرى على مواصلة أعباء الحياة . ولكن الزوجتين كلتيهما تدخلان فى سباق غريب

لا يحب الأطفال ، فكلمها أنجبت إحدى الزوجتين طفلاً ، سارعت الأخرى إلى إنجاب طفل آخر ، حتى يجد نفسه بين كتيبة من الأطفال ، بلغ عدد أفرادها ستة عشر طفلاً ، نصفها إناث من زوجته الأولى ، والنصف الآخر ذكور من زوجته الأخرى .

وعبثاً يحاول « الأستاذ حسن » أن يواجه لا تكاليف الحياة فحسب ، بل الحياة نفسها ، فراتبه الشهري لم يعد يكفي لمواجهة كل هذه الأفواه الجائعة ، ودخله من الدروس الخصوصية لم يعد يكفي أيضاً لسد احتياجات المنافسة المستمرة بين كلا الزوجتين ، ولم تقف مشكلاته عند هذا الحد ، بل تجاوزته إلى أشياء أخرى ، فواعيدته في المدرسة لم تعد منتظمة ، الأمر الذي ترتب عليه نقله إلى العمل في مدرسة أقي زعبل التي تبعد كثيراً عن بيته ، والتي تضاعف من تكاليف المواصلات ، فضلاً عن أنه اضطر اضطراراً إلى اتفاق مهرأخته « نوسة » على أعباء حياته الزوجية ، مما أحدث شقاً بينه وبين شقيقته ، بل اضطر إلى بيع البيت الصغير الذي ورثته أمه عن أبيه المتوفى ، مما أوقعه في خلاف مع أمه ، وهكذا سارت حياة الأستاذ حسن من سيئ إلى أسوأ ، وليس أمامه من سبيل إلى الخلاص .

« والأستاذ حسن » ولوأنه مدرس أهطل وليس أبه ، فإنه مع ذلك إنسان طيب القلب ، نقي الضمير ، فهو لا يفكر في السرقة لكي يحل مشكلاته ، ولا يفكر في الاختلاس لكي يواجه أعباء الحياة ، كل ما يفكر فيه هو الانتحار ، أن يتخلص من حياته هو طالما لم يعد قادراً على التخلص من حياة الآخرين .

ويقدم بالفعل على الانتحار .. ولكنه يفاجأ بأن الزجاجة التي ظنها (بوليس النجدة) ، ما هي إلا زجاجة لبن لأحد أطفاله ، فيسقط في يده ، ويعاود

الانتحار من جديد ، ولكن عبثاً وبلا جدوى ، وأخيراً لا يملك إلا أن ينهار ، بعد أن يبدى سخطه على الحياة والأحياء ، وعلى الأطفال وكثرة إنجاب الأطفال ، وعلى العادات البالية والتقاليد المترثة التي أوقعت في كل هذه المشكلات التي جعلته يحيا بلا حياة ، بل يحيا بلا موت ، وبلا قدرة على مواجهة الموت .

وهذه النهاية المأساوية تنتهي هذه الكوميديا الأسرية ، التي حاول فيها كاتبها « سامي غنيم » أن يجسد مشكلة عدم تحديد النسل ، أو عدم تنظيم الأسرة ، داعياً من خلال تجسيده لهذه المشكلة إلى ضرورة تحديد النسل ، وتنظيم الأسرة ، خاصة في مجتمعنا المعاصر ، الذي يعاني من أزمة الانفجار السكاني ، والانفجار الأسري ، وهي ولا شك مشكلة من أخطر مشكلاتنا الأسرية والاجتماعية .

وبمقدار ما وفق الكاتب الكوميدي « سامي غنيم » في تجسيد هذه المشكلة وعرضها فوق المسرح ، من خلال مواقف كوميدية ذكية ، وحوار فكاهي ممتع ، وشخصيات هزلية واقعية ، وبمقدار ما وفق كذلك في تطوير مراحل الحدث الكوميدي من بدايته إلى وسطه إلى منتهاه ، بمقدار ما خانته التوفيق في النهاية التنويرية التي اختتم بها المسرحية ، فلا يعقل نفسياً ولا يقبل فنياً أن يقدم بطل مسرحي على الانتحار مرتين وفي لحظتين متاليتين ، إن هذا هو ما يعرف في الدراما بضد الذروة ، فإذا ما وصل الحدث المسرحي إلى الذروة ، ينبغي أن تنجى فوراً لحظة التنوير ، دونما حاجة إلى كسر هذه الذروة من أجل بناء ذروة أخرى جديدة . كذلك لا يعقل أخلاقياً ولا يقبل كوميدياً أن يقف البطل الكوميدي في مونولوج طويل لكي يبيع أطفاله للجمهور ، واصفاً إياهم بالكلاب مرة ، وبالقطط مرة أخرى ، وبالوباء مرة أخيرة ، إن هذا فضلا عن كونه ضد الطفولة . وضد الأخلاقية ، فهو كذلك ضد المعيار الكوميدي الذي تبناه الكاتب ، والذي

ينتهي به إلى مثل هذه النهاية الميلودرامية .

وبجاء الإخراج ، محاولاً تجسيد هذا النص فوق المسرح ، فينجح بالفعل في بلورة المشكلة الأسرية الاجتماعية ، من خلال الشخصيات التي عرف المخرج مجدى مجاهد كيف يجسدها فوق المسرح ، وذلك من خلال حرصه على الحوار الفكاهى دون إسفاف ، (والإهبات) الكوميديّة دون ابتذال ، ومشاهد « الردح » بين الزوجتين من ناحية ، وبين الزوجة الأولى والأم من ناحية أخرى ، وذلك أيضاً دون أن يهبط بالمستوى الفنى المطلوب .

ونجح « مجدى مجاهد » حقاً في استخدام عنصر الطفولة في الفصل الثالث والأخير ، في تشكيلات كوميدية رشيقة ، ومن خلال مضمون اجتماعى هادف ، كما نجح في إضفاء عنصر الرقص والغناء على افتتاحيات الفصول الثلاثة . وإن كنت أفضل الاقتصاد في الغناء على عنصر الطفولة في الفصل الثالث ، وفي افتتاحيات الفصول الثلاثة ، دون حاجة إلى العودة من خلال أبطال العرض إلى الكوميديا الغنائية الاستعراضية الراقصة . كذلك وفق المخرج في تأبلوه الزار ، الذى عرف الفنان « صلاح مجدى » ، كيف يجسده فوق المسرح ، من خلال دور « الشيخة صابحة » ، وكان هذا المشهد بفضل براعة هذا الفنان وخفة ظله من أنجح مشاهد المسرحية على الإطلاق .

أما الديقور الذى قامت بتصميمه الفنانة « نهى براهيم » ، فربما كان هو أضعف عناصر العرض المسرحى ، فهو على فقره وافتقاره يخلو من أى عنصر جمالى ، أو حتى عنصر تشكيلى ، خاصة وأنه ديكور واحد لا يتغير على امتداد الفصول الثلاثة ، ولقد بدا عجز مصممة الديقور واضحاً ، أمام إيجاد حل ديكورى لشقة الست « حسنية » التى هى جارة « الأستاذ حسن » فلم نجد سوى أن تضعه في مكان خارج

المسرح ، وبذلك يصبح إسدال الستار ، طردا لهذا الجزء من الديكور من المسرح ومن المسرحية ، أما كان يمكن إيجاد حل آخر لتوحيد الديكور في إطار متكامل ؟ . ونجى الأديوار التي وفق المخرج في توزيع أكثرها على مجموعة الممثلين ، في طليعة هذه الأدوار دور الفنان الكوميدي « نيبيل بدر » ، الذي وفق في أداء دور « الأستاذ حسن » ، وهو وإن كان أول بطولة مطلقة لهذا الفنان الكوميدي ، فإنه استطاع بحق أن يكون في حجم البطولة المطلقة ، وذلك منذ تطوره الصاعد في الأداء الكوميدي ، حتى بلوغه أول دور من أدوار البطولة المطلقة ، فقط أقول للفنان « نيبيل بدر » ألا يكرر حركات غيره من فنانى الكوميديا المعروفين ، بما في ذلك حركاته هو التي ينبغي أن يكون فيها مجددا .

وبعد نجى الممثلة السينائية « زبيدة لوت » في دور « نبيلة » ، وأقول الممثلة السينائية ولا أكاد أقول المسرحية ، لأن « زبيدة لوت » حتى الآن وبعد محاولتها المسرحية الأولى مع الفنان « أمين الهندي » ، ومحاولتها المسرحية الثانية مع المخرج « جلال الشراقوى » لا تزال تتعامل مع خشبة المسرح تعاملها مع كاميرا السينما ، فهي على المسرح فاترة الحضور ، غير قادرة على إشباع أداؤها الصوتي ، ولا تلوين أداؤها الحركي ، إنها تتحرك على المسرح من واقع اسمها لا من واقع دورها ، ولا من واقع علاقة هذا الدور بباقي أدوار المسرحية .

أما الراقصة « هيام » في دور « حسنية » ، فقد كشفت من خلال هذا الدور عن ممثلة كوميديية خفيفة الظل ، سريعة الحركة ، قوية الحضور المسرحي ، وقد استطاعت أن تستخدم ذهنها في تجسيد هذا الدور فوق المسرح ، والتعامل معه من خلال الكلمة التمثيلية لا من خلال الرقصة الاستعراضية ، لقد عرفت كيف تجعل الجمهور ينسى الراقصة ويذكر الممثلة ، والممثلة الكوميديية بالذات .

وأما الكوميديانة « ليلي فهمي » في دور « الست سراري » . . . أم حسن ، فكانت موفقة فعلا في أدائها لهذا الدور، دور الحماية من ناحية ودور الأم من ناحية أخرى ، ولاشك أنها ممثلة كوميدية قادرة ومقتدرة ، ولكن مغالاتها في « الإبهات » الكوميدية ، ومبالغتها في الحركات الهزلية ، توقعها في هوة « الفارسكة » في كثير من المشاهد ، مما يجعلها تغادر المياه الإقليمية لحدود دورها الكوميدى ، إلى محيط (الفارسكة) ، والأداء الهزلى ، وهو ما تجلى واضحا في مشاهدتها التي قد توحى بالشذوذ الجنسي مع جارة ابها . . « الست حسنية » .

ثم يجيء الممثل « عبد الوهاب خليل » في دور « سيد ناست » الحلاق ، صديق « الأستاذ حسن » ، الكثير الزواج والطلاق ، حتى أوقعه ذلك في الكثير من المآزق ، التي كان من أيسرها . . السجن ، ولقد وفق هذا الممثل في أداء هذا الدور ، ولكنني أتساءل . . لماذا لم يتقدم « عبد الوهاب خليل » في المسرح ، برغم تمرسه بالكثير من الأدوار وحصوله على الكثير من الفرص ، لأنه لا يزال حبيس إطار أدائي معين وقالب تمثيلي بالذات ؟ ربما . . غير أنني لازلت أرى في طاقات هذا الممثل وقدراته ما يفوق بكثير حجمه الخالى فوق المسرح .

وبعد ، فعلى الرغم من كل ما في هذا العرض الكوميدى من سلبيات ، فإنها في عمومها سلبيات أقل بكثير مما ينطوى عليه من إيجابيات ، وهى إيجابيات الكوميديا الهادفة مضمونا ، الراقية شكلا ، النابعة من جوف الأسرة ، وأحشاء المجتمع المصرى ، لتساعد في تصحيح مسار الكوميديا المصرية ، والعودة بها إلى ينبوع . . إلى الكلمة الهادفة ، والضحكة الصادقة ، والمتعة الفنية لجمهور المسرح ، وهذا وحده يكفي ، بل هذا وحده فيه الكفاية . .